إلى ميدان العمل

للأستاذ محمد على الطعمى

عن أنس رضى الله عنه . . قال . . أتى رجل من الأنصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أما فى بيتك شىء ؟ قال بلى حِلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، فقال ائتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال من يشترى هذين ؟ قال رجل أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا ، قال رجل أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصارى ، وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به ؛ فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل ، ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، فقال له صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع أو لذى غُرم مُفظع أو لذى دم موجع .

« أخرجه أبو داود » فى سبيل الله والمجد ورفع مستوى البشرية دعا محمد إلى العمل الصاعد وهتف من أعماق ضميره . . انبذوا الكسل والركود والتواكل ، وامضوا قدما فى ثنايا الأرض ومسارب الجبال ، لكيلا تكونوا عالة على غيركم ، ولكى تحطموا صخرة الفقر وذل المسألة وصفاقة الإلحاح .

امضوا إلى العمل فى عزيمة جبارة ومضاء حازم ، لتأكلوا من عرق جبينكم وكد أيديكم وتعب أبدانكم .

امضوا إلى مناكب الدنيا وفتشوا جوانبها وشقوا وعرها واسلكوا سبلها ،

لتصونوا عيالكم ونساءكم من التدهور والفاقة والعوز والإلحاف .

هذا نداء الرسول محمد لكل قادر على العمل . وفى استطاعته أن يكدح وينتج انتاجا يغنيه عما فى أيدى الناس . وإن فى حديث ذلك الأنصارى لترهيبا وتخويفا لمحبى الخمول حتى لا يألفوه وتهفو نفوسهم إليه .

ألم يقل لصاحبه الأنصارى حين سأله ماذا فى بيتك ؟ فيجيبه فى بيتى قعب نشرب فيه الماء وحِلْسٌ وهو عبارة عن كساء غليظ نفترشه ، فيقول له الرسول لا غضاضة إن بعتهما وفعلا يباعان بدرهمين ، ثم يقول له خذ طعاما بدرهم ودعه لأهلك . وبالدرهم الثانى هاتِ قدوما لتحتطب به فى الجبل ولا أَرَيَنَّكَ خمسة عشر يوما .

إن محمداً كريم جداً ، وما تعود أن يضن على الملتاعين بشىء ، ولقد كان يحرم نفسه وذويه من القوت ويجود به على أصحاب العازات ، فكيف يضن على هذا الأنصارى ؟ كذلك محمد عبقرى وملهم وصاحب رسالة ، وقد نظر بعبقريته الوثابة ، فرأى الأنصارى قوى الجسم مفتول العضل ، وفى استطاعته أن يشق الأرض ، ويقلب وجوهها ويستثمرها ، فكيف يطلب المسألة ؟

والتوجيه ضرورى لأمثال هذا الرجل ، ومحمد أكبر موجه وأعظم رسول ، فماذا لو باع قعبه وحلسه ووجهه إلى العمل لكى ينتج فى حقل الحياة ؟

يا لرحمة محمد . .

لقد وضع له فى القدوم يداً بنفسه ليريه قيمة العمل والكفاح من أجل لقمة العيش ، ويريه أيضاً أن هذه اللقمة ليس منالها هينا ولا سهلا ، ما دامت السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

إن محمداً يريد من الأنصارى أن يفهم أن الدنيا خلقت للعمل وأنها حقل كبير متسع ينقصه أن نفتش فيه بأمانة ودقة واستمرار .

ويشاء ربك أن يغيب الأنصارى فى أحضان الصحراء مستقبلا أشعة الشمس المنبثقة على الرمال والتلال ، ثم يعود بعد أيام وأيام وقد باع حطبا بعشرة دراهم .

هكذا يفعل الطبيب الحاذق عندما يصف الدواء ، وجائز أن يكون دواؤه مراً فيتأفف منه المريض ويتناوله غضباً ، ولكن فى النهاية يشعر بأنه استراح من وطأة العلة وثقل المرض ، وعندئذ يشعر بقيمة الطب والطبيب .

وهكذا فعل محمد عليه السلام . فقد رأى الأنصارى سينحدر إلى هاوية التسول فأنقذه منها بمهارة فائقة ، ولما أحس الأنصارى بأن رجولته أصبحت متحركة ، وأن المال تعبدت طريقه إليه ، جلس فرحا بين يدى الرسول ، فقال له عليه السلام « هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى جهك يوم القيامة » . . نعم يا رسول الله . . لقد حررت شعوبا وخرجت أجيالا وبعثت الإنسانية من جديد .

إنك لتقول لذلك السائل ، إن المسألة تجىء نكتة فى وجه صاحبها يوم القيامة فيهرول راضيا إلى الصحراء حاملا قدومه على كتفه ، لكى يتفادى الضيم فى الدنيا ، والنكتة أى العلامة فى الآخرة .

لقد كنت يارسول الله برا بأصحابك رءوفا رحيما بهم ، تقدم لهم النصائح فى إطار رائع وتنظيم فنى دقيق ، وكنت ترسم لهم الخطوط الهادفة ليعملوا على ضوئها فى ترتيب واتساق .

ألم تقل لهذا الأنصارى « إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع أو لذى غُرم مفظع أو لذى دم موجع » ؟

وأى روعة أعظم من هذه الروعة ؟وأى أسلوب أدق وأرق من هذا الأسلوب؟ ذلك لأن التسول فى نظر محمد الرسول لا يليق بحال ، فإن كان ولابد فليكن لذى فقر شديد أو دين فظيع أو مرض ملح .

يا رسول الله .. لقد وهبتك السماء الخير كله . فنشرته على العالم فى صور تهذيبية لماحة ، ضننت به على أحد حتى الأنصارى أبيت عليه أن يكون عالة أو كلا ، يجود

عليه كريم ويرده بخيل ، فنفخت فيه من مشاعل النبوة فأصبح إنسانا له ضمير وفيه إحساس ، يعطى ولا يُعطى . ويتصدق ولا يُتصدق عليه

يا لك من نبى عظيم :

حرمت المسألة بتاتاً وقلت عنها شر ، وشر منها أن يتعودها امرؤ لا تصلح له ، فيلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم .

صلى الله عليك يا طبيب الإنسانية ، ورضى الله عن صاحبك الأنصارى الذى تقبل تعاليمك راضيا شاكرا

شهيد التصوف الإسلامى

الحسين بن منصور الحلاج

طالما ترقب عشاق الحياة الروحية المضيئة هذا الكتاب ، عن الشهيد الخالد الحسين بن منصور الحلاج ، الذى كان النبأ العظيم فى أفق المعرفة الصوفية العليا ، والذى قدم دمه فى صور بطولية شامخة ، فداء لعقيدته ورسالته .

ومنذ أيام صدور هذا الكتاب المرتقب ، فى ثوب قشيب ، وطباعة فاخرة ، ليعرض على جبين الدنيا سيرة هذا القطب الروحى العظيم وعلومه وفلسفته وعجائبه وأسراره واستشهاده وفتوحاته فى عالم الروح والحب والإلهام .

كتبه بأسلوبه الروحى المشرق الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، فجاء درة متلألئة فى سفط دراساته الصوفية المتتابعة .

ويطلب الكتاب من المكتبة العلمية ، ومن إدارة مجلة الإسلام والتصوف ، وثمن النسخة خمسون قرشا .